

الست هدى

أحمد شوقي

الست هدى

الست هدى

تأليف
أمير الشعراء أحمد شوقي



رقم إيداع ٢٠١٢/١٤٩٢١

تدمك: ٩ ٦٨ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧

٩

٣٥

٦٣

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

تمهيد

- زمن الرواية: سنة ١٨٩٠ م.
- مكان الرواية: حي الحنفي، القاهرة.
- أشخاص الرواية:

- الست هدى.
- الست زينب: صديقتها.
- من فتيات الجيران: خديجة، أسماء، بهية، إقبال.
- عبد المنعم المحامي: زوج الست هدى.
- حلمي: كاتبه.
- السيد العجيزي: من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى.
- من أصدقاء السيد العجيزي: محمد، أحمد، عامر، الشيخ الحلبي، مصطفى النشاشقي.
- ألمانز: أغا.
- رضوان: خادم.
- سلمان: مراب.

الفصل الأول

(في دار صغيرة مؤلفة من: «مندرة» في الطبقة السفلى، ومن سُلْم يُصعد منه إلى قاعة صغيرة، وثلاث حجرات، والمنزل مطل على مسجد «أبي الليث» بحيّ «السيدة زينب»)

(الست «هدى» وجارتها «زينب» في إحدى الحجرات)

الست هدى:

كيفَ يا أخت أنتِ؟

زينب:

نحنُ بَرَعْدٍ كُلُّنا ما بقيتِ أنتِ بَرَعْدٍ

الست هدى:

أنتِ يا «زينب» الوفيّةُ بالعهد

زينب:

ولمَ لا أفي وخَيْرِكِ عندي؟

الست هدى

نحن من أربعين عامًا على خير جوارٍ بين اثنتين وودَّ

الست هدى:

لا، بل العهد لا يزيدُ على العشرين خَلِّي حِسَابَه، لا تَعُدِّي!
اسمعي زينب، اسمعي يا صديقتي لكِ هذا الدبُّوس

زينب:

لي أنا؟

الست هدى:

ب_____دي
أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً وأنصفت في الوصية جُهدي
ما يقولُ الجيرانُ «زينب» عني؟

زينب:

اتركيهم، لا تحفلي بالردِّ

الست هدى:

يقولون في أمري الكثير وشغلهم حديثٌ زواجي أو حديثٌ طلاقي
يقولون إنني قد تزوجتُ تسعةً وإنِّي وارتيتُ الترابَ رفاقي
وما أنا «عزْريلُ» وليسَ بمالهم تزوجتُ، لكن كان ذاكِ بمالي
وتلكِ فداديني الثلاثونَ كلما تولَّى رجال جنُّني بِرجالٍ
فما أكثرَ عُشَّاقِي وما أكثرَ حُطَّابِي!
ولولا المالُ ما جاءوا أذلاءً إليّ بابي
لستُ ما عشتُ ناسيه لستُ أسلو حَياتِيه

أولَ البختِ «مصطفى» «مصطفى» كان ساريه
حينَ يمشي تظنُّه نخله «المرج» ماشيه
رحمةُ الله عليه لم يكن يطلبُ مالي
تلكِ «أبعاديّتي» وهى جنونٌ للرجال
لم تكن تخطر في الـ عام له يوماً ببال
لم يكن يعنيه من ذا كِ سوى قبضِ الإجاره
جعل الله تعالى جنة الخلد قراره
مات فكدتُ أموت حزناً وكان عمري عشرين عاماً
ثم تزوجتُ بعد خمسٍ من ذا يرى فعلتي حراماً!؟

زينب:

أجل، تعيشينَ وتدفنينَا حتى تصيبي منهمُ البنينا

الست هدى:

وزوجي الثاني «علي» لم يكن يصلحُ لي
يا ليتني لم أقبلَ واخترتُه لماله
ما كان إلا مفلساً وقعتُ في حباله
يرحمه الله، وكان ذا بحرٍ وكان إن يقعدُ وإن يقمُ نحزُ
وإن مشى تخرجُ أصواتُ أحرُ
يرحمه الله لقد عشنا معا من السنينِ الصاخباتِ أربعاً
ثم مضى لربه لا رجعا
رحمةُ الله عليه جنُّ بالنسلِ جنونا
ثم لمّا ماتَ ما خلف لي إلا دُيوننا
ومات لم تبكهِ عُيوني وكان عُمرِي عشرينَ عاماً
ثم تزوجتُ سواه من ذا يرى فعلتي حراماً!؟

زينب:

أجل، تعيشين وتدفينينا حتى تصيبي منهم البنينا

الست هدى:

لا نافعاً كان ولا شافعاً
ولقبوه الكاتبَ البارعا
ما اخترتُ إلا عاطلاً ضائعاً
ن على الصُّحفِ مُغتدي
وغداً في «المؤيد»
فارغَ الجيبِ واليدِ
بنيتُ فلاناً أو هدمتُ فلاناً
وقد يصبح المهذومُ أرفعَ شأناً
كان لا يحقر مالا
يسألني إلا ريالاً
نهى كما شاء هَواه وأمر
لقد وددتُ أنه زوجُ العُمُر

ولستُ أنسى زوجي الرابعاً
قالوا: أديبٌ لم يروا مثله
قد زينوه لي، فاخترته
رائحُ أكثرَ الزما
يكتب اليومَ في «اللوا»
ليله أو نهازه
ويعجبني عند المباحةِ قوله
وقد يُصبحُ المبنيُّ أوضعَ منزلاً
رحمةُ الله عليه
كان إن أفلس لا
ثم تزوجتُ بيوزباشي «قمر»

له، لا ارتقى لرتبة «صاغ»
لم يُردني لكن أراد «مصاغي»
أبيعُ أو أرهن أطياني
لا أشتري جيشاً بفدانٍ
وفاكحتي ورِيحاني وزاجي
ويحلمُ بالقلادة والوشاح
يجيءُ البيتَ في ضوءِ الصباح
يُقامرُ بالنجوم وبالسلاح
وكان عُمرِي عشرين عاماً
من ذا يرى فعلتي حراماً؟!

لا عفاً الله عنه، لا غفرَ الله
لا عفاً الله عنه، قد كان لصاً
وطالما زينَ لي أنني
من أجل «يوزباشي»؟ لقد ضلّ، لأ
لحاهُ الله كان منى فؤادي
وكنتُ أحبُّه ويحبُّ طيني
وكان مُقامراً شريبَ خمرٍ
يكادُ إذا تورطَ في قمارٍ
عشنا ثلاثاً ثم افترقنا
طلّقني فالتمستُ زوجاً

زينب:

أجل، تعيشين وتدفنيننا حتى تصيبي منهم البئنا

الست هدى:

وعشتُ عامين دون زوج
لم أنسه منذ مات يوماً
كان خفيفاً وكان حلواً
ما كنت أدري إذ تولّى
يرحمه الله مات ما وجدوا
وسبحة من خزانتي سرقت
وسعت في دفنه ومأتمه
رحمة الله عليه
كل يوم يدعُ البيـ
ثم لا يرجع لي إلا
رحمة الله عليه
كلّ يوم بزبون
وفدايدي عني
ما كان في وجنتي يقبلني
وعينه في حواتيمي أبداً
ثم اقترنتُ بفقيره
لا في الشيوخ القدما
كهلّ أخو خمسين لـ

ثم تزوجتُ بالموظف
ما كان أبهى! ما كان أظرف!
ومن نسيم الربيع أطفأ!
أجيبه أم قفاه أنظف!
في جيبه غيرَ قطعتي ذهب!
كانت على الرف من وفاة أبي
ولم أضيّق عليه في رجب
كان «جَخَاخَا» كبيراً
تَ رئيساً أو وزيراً
كما كان صغيراً
كان مشغولاً بطيبي
أو بسمسارٍ يجيني
هي في الحفظ كديني
بل همّه في يدي يقبلها
يحدثُ النفس كيف ينشلها
عالم في البلد
ولا الشيوخ الجُدُ
لكن في نشاط الأمر

زينب:

عرفتُهُ، ذاك الفقيه
قد كان في «الخطّ» وجيد
«الشيخ عبد الصمد»
هأ ومقبّل اليد

وكل من مرَّ به خاطبه بسَيِّدي!

الست هدى:

يرحمه الله لقد أدبني حتى عرفتُ كيف تخضعُ النُّسا؟

زينب:

أنتِ؟

الست هدى:

أجل! أدبني بيدهِ ورجلهِ وبالْعَصَا

زينب:

كيف؟ متى؟

الست هدى:

ولم أكن أعلم من أين أتى؟
من كنت منها تنظرين يا ترى؟
وشمر الذيل وجرّد العصا
سدّ الشبّابيك وسمر الكوى
يا حبّذا الزوج الغيورُ حبّذا!
من ظنّ في قلبي لغيره هوى
سحري ونحري بعدما صلّى الضحى
بدت عليه علةٌ ولا اشتكى
فمه يذكر «أبعاديّتي»
لم يُقلب عينه في «صيغتي»

رأى غبارًا عالقًا بجبّهتي
فقال هذا التربُّ من نافذة
وهاج حتى خفت أن يقتلني
وجاء بالنجار من ساعته
فقلت يهواني وتلك غيرة
وقبله لم أر من غار ولا
يرحمه الله لقد مات على
مات ولم يرقد له جنب ولا
رحمة الله عليه لم يكن
وإذا ما جاءني أو جئتُه

الفصل الأول

لكنه مُنذُ كُنَّا ما حلَّ عقدة كيسه
يفضل الأكلَ مِنْ غيرِ مالهِ وفُلوِسه
كانَ الأزهرَ المعمورَ بيتي هناك «جراية» وهُنَا «جرايه»!
خلفَ الشيخُ من الـ أولادِ ما يملأُ حاره!
قُسِّمَتْ ثروتهُ عليـ قُسمتْ مع الشيخ نصفَ عامٍ
ومات فاخترني سِوَاهُ هَمُ فَنَالَ الطُّفْلُ بَارَهُ!
وكان عمري عشرين عامًا من ذا يَرى فَعَلْتِي حَرَامًا!؟

زينب:

أجل تعيشينَ وتَدْفِنِينَا حتى تصيبي مِنْهُمُ البِنِينَا

الست هدى:

أتذكرين بعدَه من جاءَ بَيْتِي يَخْطُبُ!؟

زينب:

مَنْ ذَاكَ مَنْ؟

الست هدى:

أنتِ التي جِئْتِ بِهِ يَا زَيْنَبُ!

زينب:

«مهدي» المقاول الثري الممْتَلِي مِنَ الذَّهَبِ

الست هدى:

قد نَهَبَ اللّهُ بِهِ أَجَلَ، إِلَى النَّارِ نَهَبَ
 لَمْ يَنْسَ أَنْ يَذْكَرَ «أَبْعَادِيَّتِي» مَا لِلْغَبِيِّ، وَلَطِينِي مَا لَهُ؟!
 وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الطَّعَامِ يَسْتَجِي يَأْكُلُ مَالِي وَيَعِدُّ مَالَهُ!
 بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ أَرِ لَوْنَ قِرْشَهُ
 عَشْتُ اثْنَتَيْنِ مَعَهُ لَمْ أَنْتَفِعْ بِفَرْشِهِ
 لَوْ لَمْ يَمُتْ لَمْتُ مَنْ جَخُّهُ وَفَشُّهُ
 كَأَنَّمَا تَسَرَّبْتُ عِمَارَةً فِي كِرْشِهِ
 يَدْبُ كَالْحُلُوفِ فِي خُرُوجِهِ مِنْ قَشِّهِ
 وَمَا اسْتَرْخْتُ لَيْلَةً مِنْ طَاحُنِهِ وَدَشِّهِ
 وَمِنْ تِلَالِ جِيرِهِ وَمِنْ جِبَالِ «دَبِّشِهِ»
 ظَلَلْتُ عَامِينَ فِي بَلَاءٍ وَكَانَ عُمْرِي عَشْرِينَ عَامًا
 وَمَاتَ «مَهْدِي» فَاعْتَضْتُ عَنْهُ مَنْ ذَا يَرَى فَعَلْتِي حَرَامًا!؟

زينب:

أَجَلَ تَعِيشِينَ وَتَدْفِينَا حَتَّى تَصِيبِي مِنْهُمُ الْبَيْنَا

الست هدى:

ثُمَّ اقْتَرَنْتُ بِمُحَامِ عَاطِلٍ شَرَّيْبِ خَمْرٍ يَحْتَسِبُهَا فِي الضُّحَى
 قَلْتُ دَعَاوِيهِ وَقَلُّ مَالَهُ وَأَصْبَحَ الْمَكْتَبُ مِنْهُ قَدْ خَلَا!

عبد المنعم المحامي (زوج الست هدى، وهو سكران) يصعد السلم:

هدى، ضلال، أين أنتِ يا هدى؟
 أين العجوز؟ أين جدتي هدى؟

الست هدى:

وَ نَكِدَا «زَيْنَب» وَ دَاهِيَتَا لَقَدْ أَتَى لَا أُدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى؟
يَشْتُمُ فِي السُّلْمِ

زينب:

خُلِّيهِ دَعِي
لَا تَفْرُضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى!
رَأَيْتُهُ

الست هدى:

وكيف

زينب:

مَنْ تُحْتُ وَقَدْ كَانَ مِنَ السَّقْفِ أَطْلًا وَانْحَى
وَكَانَتِ الْحَارَةُ مَنَّا امْتَلَأَتْ فَأَرْسَلَ الْقِيَاءَ عَلَيْنَا وَرَمَى!

الست هدى:

القيء؟ ماذا قلت؟

زينب:

قَلْتُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَمَا مَرَّ عَلَى رَأْسِي وَمَا

الست هدى

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هدى، عجوز النَّحْس، أنت قردهُ
خطوطكِ الوحلُ وكُحْلُكَ العَمَى

الست هدى:

سمعتِ يَا زَيْنَب؟

زينب:

خَالِيَه، دعي لا تَفْرِضِيه غير سكران هدى
ومرّةً جاءَ «أبا الليف» ضُحَى أذّن في الناس يُصَلُّون العِشَا
فضيحةٌ في الخُطَا!

الست هدى:

وَا فضيحتا

زينب:

ما شهدوا في «الحنفي» مثلها

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هدى تعالي يا عتيقة اظهري
عندي لك النعلُ وهذه العصا

الست هدى:

سمعتِ يَا زَيْنَب؟

زينب:

خَلَّيْهِ، دَعِي لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى

الست هدى:

دَعِيهِ يَهْدِي مَا يَشَاءُ غَدًا تَرَيْنِ زَيْنَبُ
فَفِي غَدٍ لِي وَلَهُ شَأْنٌ، غَدًا يُؤَدَّبُ

زينب:

مَا الَّذِي عَزَمْتَ يَا حَبِيبَتِي أَنْ تَصْنَعِي

الست هدى:

أَقْذِفُ فِي الْقَسَمِ بِهِ وَأَشْتَكِي وَأَدَّعِي
إِنَّ رِجَالَ الْقَسَمِ، وَالنَّائِبَ وَالْقَاضِي مَعِي!

(لزوجها)

لَتَنْدَمَنَّ يَا لُكْعُ يَا مَنْ يَقُومُ وَيَقَعُ

عبد المنعم (وهو بالسلم):

مَاذَا سَمِعْتُ؟ صَوْتِهَا؟ أَنْتِ بَوْمَتِي هُنَا؟
الآنَ جُمَيْرَةَ «الْحُطَّ» أُرِيكِ مَنْ أَنَا؟

زينب:

هُدَى، حَبِيبَتِي اسْمِعِي تَعَالِي أَهْرَبِي مَعِي!

الست هدى:

أنا؟

زينب:

اسمعي، دعيه،

الست هدى:

لا

زينب:

دعيه يا هدى، دعي
لا تُغصبيه إنه مُمتلئ، ليس يعي!

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هدى! هدى! أين هدى؟ أين العجوزُ البالية؟
أين مضيَّتِ بومتي؟ أين ذهبَتِ خُفتي؟
خدّاكِ ضُفدعتانِ قد أسنّتا وأذناكِ عقربانِ من قنا
وحاجبكِ والخطوطُ فيهما كدودتينِ اكتظتا من الدّما
وبينَ عينيكَ نِفاًرٌ وجفا عَيْنُ هناكِ خاصمتُ عيناً هنا!

الست هدى:

دعيني أقطّعُ عليه الحذاً ءَ وأجزِ الوقاحَ على ذنبيه
دعيني أضربهُ حتى يُفِيءَ قَ فلا بدَّ زينبُ من ضربهِ!

زينب:

قد جاء، هَيَّا نَتَقِي
ففي يمينه العَصَا
جنونه وهَوَسَهُ
وفي الشمال المِكنَسَهُ

الست هدى:

سكرانُ يضربُ إذن لنهرِبُ
هذه حجرةٌ نومي
هلمَّ زينبُ
أسرعي زينبُ فيها
نحنُ يا زينبُ لا نك
بحُ سكرانَ سَفِيها

(تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب)

عبد المنعم (وهو داخل يترنح):

هدى ذاتُ الفدايين هدى

الست هدى:

فكَّر في طيني

عبد المنعم:

من لي بالزبرجد؟ من لي بالزُمُرْد؟
يا ليتَ ذاكَ في يدي!

الست هدى:

سمعتِ؟ عبد المنعم قد هام في خواتمي

(يجتاز «عبد المنعم» القاعة إلى حجرة نومه)

الست هدى:

زَيْنَبُ انظُرِي ما الذي صنَع

زَيْنَبُ:

جاء حَجْرَةٌ ثم فاضطجع
فلندعُهُ في النَدِّ موم فأندعُ
الآن أستودعك الله هُدًى محفُوظَةً،

الست هدى:

لا تُهْمِلِينِي زَيْنَبُ!

(تخرج زَيْنَبُ)

(تسمع ضجة بالسلم ...)

الست هدى:

ما الصوتُ؟ ما أسمعُ؟ من يا تُرى؟
هذا خُطُوطِي وكُحْلِي
لم أنس حُمْرَةَ خَدَّيْ
وهذا الثُوبُ ما أبهى!
ومَنديلي على رَأْسِي
وهذه خَواتمي
وهذه قلائدي
اقترب الصوت وتلك أرجلُ
ما هذه الضَّجَّةُ في السُّلَمِ؟
وتلك صبغَةُ شعري
لم أنس زِينَةَ صَدْرِي
وهذا الخُفُّ ما أحسنُ!
ما أحلى! وما أزينُ!
بها يدي مُرَصَّعَةٌ
في لَبَّتِي مُلَمَّعَةٌ
تدبُّ عند البابِ، مَنْ؟

أصوات:

هل ندخلُ؟

الست هدى:

ادخلن! أهلا وسهلا — لا ومرحبا بالحبائب

(تدخل أربع فتيات من بنات الجيران: «خديجة» و«أسماء» و«بهية» و«إقبال»)

خديجة:

صباح الخير يا عمه

الست هدى:

صُبِّحْتُنَّ بِالْخَيْرِ
«خديجة» ابنتي هنا؟ هذا هو التفضل!

خديجة:

إن أنا بالعمّة لم أسأل، فعمّن أسأل؟

الست هدى:

أنت ابنتي ستأخذين — من خاتمي الزمردا!

خديجة:

اليوم يا عمّة؟

الست هدى

الست هدى:

لا!

خديجة:

متى إذن متي؟!

الست هدى:

غــــدا! من بعد موتي

خديجة:

لا تمــــو
تي أنا عمّتي الفدا!

الست هدى (لأسماء):

وأنتِ يا أسماءُ إذا متُّ غدا أخذتِ هذا الخاتم الزبرجدا

أسماء:

لا كان يا عمّةُ عشّتِ الأبدًا!

إقبال:

أسماء يا عمّةُ مخطوبّةُ

الست هدى:

لِمَنْ؟

إقبال:

لشيخ عمدة في الصعيد!

الست هدى:

حذار يا أسماء أن تفعلي

أسماء:

أنا؟ أباي يختار لي من يريد!

الست هدى:

قولي له: العمدة جربته

أسماء:

أقول؟ من يسمع أو من يعي؟ إن أباي صعب ولا أجتري

الست هدى:

إذن دعيني أنا أفعل، دعي!

(لبهية)

الست هدى

وأنت يا ابنتي؟

بهية:

خُطِبْتُ مِنْ زَمَنٍ

الست هدى:

مِنْ زَمَنٍ؟ تَبِ - لَارَكَ اللهُ، لِمَنْ؟

بهية:

لضابطٍ في الجيش!

الست هدى:

ضابطٌ؟

بهية:

أجل!

الست هدى:

أَحْسَنْتِ، أَحْسَنْتِ - تِ، تَحَيَّرْتِ الرَّجُلَ!

بهية:

ما اخترت يا عَمَّتِي ولكنْ
بناتُ مصر يُخَطَبْنَ لِكِنْ
أبى وأمِّي تَخَيَّرَا لي!
لا يَتَنَاقَشَنَّ فِي الرَّجَالِ!
مَا نَحْنُ إِلَّا عَرُوضُ مَالِ!
نُبَاعُ يَا عَمَّتِي وَنُشْرَى

الفصل الأول

الست هدى (لأسماء):

وكيف أختك «بنبا»

أسماء:

تَقْبَلُ اليَدَ

الست هدى (لأسماء):

عَشْتِ

أسماء:

مخطوبة هي أيضاً!

الست هدى:

ماذا تقولين بنتي؟
مِنَ الكَبِيرَةِ؟ «بِنْبَا» أم الكَبِيرَةُ أَنْتِ؟
عمرُك بالتَّخْمِينِ

أسماء:

ل_____
تُ خالتي مُخَمَّنَةٌ
في رجب الذي مضى
أتممتُ عشرين سنةً

الست هدى:

عشرون أنت يا ابنتي إذن فما عمري أنا؟

أسماء:

ستُّون يا خَالَهُ؟

الست هدى:

صـــــــــــــــــه لم أر مِنْكَ أرْعَنَا

أسماء:

خمسون يا سيِّدتي؟

الست هدى:

كذبتِ كذْبًا بَيْنًا

أسماء:

إذن ففي العشرين يا خَالَهُ أَنْتِ وَأَنَا!

الست هدى:

هذا الحديثُ عَبَثُ
كل امرئٍ داخلها!
خُذِي بِنَا فِي غَيْرِهِ!
برزقهِ وعمره

خديجة:

اسْكُتِي أَسْمَاءُ خَلَى السُّ
هي يَا خَالَهُ حَمَقَى
أنتِ يَا خَالَهُ فِي وَجْءٍ
لا مَشَيْبٌ لا اصْفَرَّارٌ
نَّ مَا هَذَا الْفَضُولُ؟
لَيْسَ تَدْرِي مَا تَقُولُ!
هَكَ قَدْ خَطَّ الْقَبُولُ!
لا غَضُونٌ لا ذُبُولُ!

الست هدى:

سمعت أسماء؟ علميها ما القَوْلُ؟

خديجة:

بل أنت علمينا!

الست هدى:

صُنَّ جمالَ الوجوه صونًا فالسنُّ بالوجه لا السنين!

(يسمع صوت خارج الحجرة)

ما ذاك عند البا ب؟ صوتُ رجل؟

القادم:

سيديتي، أدخل

الست هدى:

«المازُ» ادخُل!

(«المازُ» أغا!)

الأغا:

سيديتي!

الست هدى

الست هدى:

يا مرحبًا يا مرحبًا!

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا

الست هدى:

أعدُ

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا إليك

الست هدى:

هذا أغا الباشا اقتربَ ماذا وراءَ القادم؟

الأغا:

أحملُ يا سيدي تحيةَ الهوانم!

الست هدى:

بالله «ألمان» ألا
تُحبُّ بُنيَ فَجَرَّبَ
جلستَ بالقُربِ مِنِّي
بُنَّ السَّرايِ وَبُنِّي

(تناوله قهوة)

الفصل الأول

ما للهوانم «ألم - أُن» ليس يسألنَ عني؟

الأغا:

نسيت يا سيديتي أميس، أما كُنَّ هنا؟

الست هدى:

ومن أنا حتى تزو رني الشموس من أنا؟!

الأغا:

واليوم يا سيديتي أرسلتني بالمركبة

الست هدى:

جئت إذن في طلبي؟

الأغا:

أجل، وتحت العربّة

الست هدى:

أيتهنَّ يا أغا؟

الأغا:

«فيكتوريا» المقفلة!

ذات الرفارف الخفا فِ السُّتور المسدلة!
ركوبة الهانم في ال- أعياد والمواسم؟

إلى السرايات من الـ إنشأ إلى الهياتم!

الست هدى (للفتيات):

الجَوَانَّتِي هُنَاكَ «أَسْمَاءُ» انظُرِيه انظُرِي يَا «خَدِيجَةُ» الْفَرْجِيَّةُ

(وهي تلبس)

انظُرِي «إِقْبَالُ» مَا
انظُرِي شَالِي «أَسْمَاءُ»
ثُمَّ انظُرَا هُنَاكَ يَا
مِرْوَحَةَ مِنَ النِّعَامِ
وَحَلِيًّا هُنَاكَ لِي مِرْوَحَةَ
أَجْمَلُ هَذِي الْفَرْجِيَّةِ
كَيْفَ حَلَّى كَتْفِيًّا
بِنَتِي فَوْقَ الْكَنْبِ
بِيَدِ مُذَهَّبَةٍ
عَاجًا وَأُخْرَى كُلُّهَا مِنَ الصَّدْفِ

خديجة (همسًا):

أَسْمَاءُ!

أَسْمَاءُ: أُخْتِي!
خديجة:

أَبِيَّتُ
أُم مَعْمَلُ مِنَ مِرَاوِحِ؟!!

أَسْمَاءُ:

مَا تَصْنَعِينَ خَالْتِي
بِهَذِهِ الْمِرَاوِحِ?!!

الست هدى:

أنا ابنتي مولعةٌ بها وبالرَّوائِح!
ذكَرْتَنِي «أسماء» لا تنسى الوردَ على الرَّفِّ ولا الياسمين

أسماء:

خاله ماذا؟

الست هدى:

كلُّ شيءٍ عندي

أسماء:

أأنت سمعانُ أم الماوِزي؟

الست هدى:

أسماء تعالَى انظري كيف ترين رجلياً؟
هذا الحذاء هل ترى يليق للفكتوريا؟!

أسماء:

خاله لا تبدلي هذا الحذاء «مملكه»!

الست هدى:

الله يا بُنيَّتي يطرحُ فيك البركة!

(للأغا)

لا أحدٌ في الخُطِّ إلاَّ استوقَفْتَهُ العَرَبُ
فحارةٌ قائمةٌ وحرارةٌ مُنقلَبَةٌ

الأغا:

سيدتي لا تخافي مركبتي لا تجزُّ

الست هدى:

«ألمأز» أنتَ ظريفٌ ومركباتك عِزُّ

(الفتيات)

قد أن أن أجيبَ دعوةَ الأغا هيَّا ابنتيَّ هيَّا ألبساني

(الفتيات يشتغلن بلباسها)

الست هدى (لخديجة وأسماء):

أنت ابنتي وهذه فتاتي بناتُ جاراتي وصاحباتي
إِذَا حُرِمْتُ النسلُ هُنَّ بناتي وفي يدي من «مصاغ»
وكل ما فوقَ صدري لَكُنَّ بَعْدَ دماغِي
وكل شيءٍ ببיתי

الفصل الثاني

(في قاعة الدار)

(عبد المنعم يتناول طعام الفطور مع الست هدى)

(عبد المنعم ينادي حلمي الكاتب وهو تحت)

عبد المنعم:

حلمي، تعال

حلمي:

سيدي!

عبد المنعم:

تعالى يا ابني اصعدِ

(يحضر حلمي)

تعال قرّب «شلتة» تعال ههنا اقعدِ

الست هدى

صُبِّحْتَ بِالْخَيْرِ أَهْلًا

حلمي:

يا صَبَّحْتَكَ السَّعَادَةَ؟
هذا الْفَطُورِ سَيِّدِي بِصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ!

عبد المنعم:

تعال جَرِّبْ هذه الصَّنَاعَةَ

حلمي:

لقد أَكَلْتُ الْفُولَ مِنْذُ سَاعَةٍ

عبد المنعم:

تلك بِضَاعَةٌ وَذِي بِضَاعَةٍ

(وهو يَأْكُلُ)

حلمي:

الْفُولُ يَا سَيِّدِي لِذِيذُ الْفُولُ مِنْ حَارَةِ النَّصَارَى
وَالْعَيْشُ مِنْ مَخْبِزِ الرَّمَالِي

الست هدى:

وَالزَّيْتُ مِنْ مَعْمَلِ «الْبَدَارِي»

الفصل الثاني

عبد المنعم:

البداري! ما تَلِكِ سوقُ قد سمعنا بها، ولا تَلِكِ حارة!

حلمي:

وليمونك يا هانمُ

الست هدى:

كالشهدِ وكالسُّكْرُ

حلمي:

ومن أين به جيء؟

عبد المنعم:

من الجنة والكوثر!

الفول يا حلمي لذيذٌ فكلُ وخلٌ ما تسمع من دَشِّها
فما على الدنيا سوى أكلها ولا على الأرض سوى فَرَشِها
كلُّ، كلُّ ولا تُصغ لها فإنها مُمَّخِرَقَةٌ
وكل شيءٍ لم يكن قادرةٌ أن تخلقه

الست هدى:

لا أيها الفاضل، لا ما أنا بالمحاميَّة!
أثير من شقشقةٍ زوبعةٌ في أنيَّة!

حلمي:

وما ذاك يا سيدي في يديك؟

عبد المنعم:

ألذ من اللبن المزد زبيب!!

حلمي:

على الرقيق؟!

عبد المنعم:

لا يا غبي!

على الفول!

حلمي:

أفزع يا سيدي!

الست هدى:

نحن يا حلمي هلكنَا أصبح المنزل حائتة
صار لا يكفي المحامي كلَّ يومٍ «جمدانه»!

زينب (لدى الباب):

العوافي!

الفصل الثاني

عبد المنعم:

صوت لدى الباب

الست هدى:

هذي زينب جارتِي، تعالِي تعالِي

(لزوجها)

خبُّ الخمرِ أخفِ ما أنت فيه

عبد المنعم:

دعني دُعن، ما لكُنِّ ومالي؟

الست هدى:

ادخلي جارتِي ادخلي، هيَّا حُشي

(لزوجها)

خبُّ الخمر

عبد المنعم:

اُترکيني وَحالي

الست هدى

الست هدى:

ادْخُلِي زَيْنَبُ ادْخُلِي لَا تَهَابِي

زينب:

مَنْ هُنَا؟ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رِجَالٍ!

الست هدى:

الْأَفْنَدِي وَسِكرَتِيرِ الْأَفْنَدِي ادْخُلِي، لَا غَرِيبَ زَيْنَبَ عِنْدِي

زينب:

الْأَفْنَدِي وَتَقُولِينَ ادْخُلِي؟

الست هدى:

ادْخُلِي لَيْسَ سِوَاهَا هُنَا؟
مَا الَّذِي تَخْشِينَ يَا أُخْتِ ادْخُلِي

زينب:

لَا، دَعِينِي! أَنَا لَمْ أَتَسَّ الْعَصَا

(زينب تنصرف مذعورة ويظهر «ألماز أغا» لدى الباب)

ألماز أغا:

صباح الخير يا هانم

الست هدى:

من؟ صبحتَ بالخير

(لزوجها)

هذا أغا الباشا أتى وفيم جاء يا تُرى؟
ارم الزبيب من يدك فهو من أهل التُّقى

عبد المنعم:

لينصرف لشأنه فما له وما لنا؟

الست هدى:

ارم الزبيب قلت

عبد المنعم:

لا

الست هدى:

يستَهزئُ الناس بنا
قم امض حلمي بالزبيب ب، بل به أمضي أنا

(تخبئ الزبيب، ويدخل الأغا)

الأغا:

سيدتي، عندك ناس؟

الست هدى:

ما سوى زوجي هنا

الأغا (للزوج):

عافية يا سيدي هذا فطور أم غدا؟

عبد المنعم:

أذن تفضل، كل معي فولاً لذيذاً يا أغا

الأغا:

بصحة يا سيدي أكلت من وقت مضى

عبد المنعم:

لا لا، بل ادخل يا أغا
هذا المكان قذر خذيه ثم يا هدى
ادخل مكاناً غير ذاً

الأغا:

يا حبذا المجلس لولا شغل
داع لقضيت النهار هاهنا

الأغا:

السكرتيرُ؟ مَرَحَبًا يَا مَرَحَبًا
والآن في حراسة الله

حلمي (للأغا):

انتظرُ يا سيدي!

عبد المنعم (همسًا):

دعه!

حلمي:

انتظر نخرُج معًا

عبد المنعم:

وأين يا حلمي؟

حلمي:

أشيع الأغا

الأغا:

لا سيدي بالله

الفصل الثاني

حلمي:

لا

الأغا:

بل ابق!

حلمي:

لا!

الأغا:

لي كَلِمَة يا سيدي أقولها لـهـانـم

عبد المنعم (مبتسمًا):

اذهبي مع الأغا هدى

الأغا:

يا سيدي الهانمُ أختي، لا تخف

حلمي:

انظر إليه ما أخفَّ دَمًا!

عبد المنعم:

امضي هدى هلمِّي شيعي الأغا الأختُ يا هدى تشيع الأخوا

(السيدة والأغا يخرجان)

الحمد لله على نعمته زال العنا
أشربها، فلا هدى ولا الطواشي هنا
لي ساعة ما ذاقها أنفي ولا ذاق فمي

(ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه)

حتى لقد كدت من ظمي أشربها بقدمي
حُرمت منها ساعة وأنت كنت السببا
سبحان من لم يعطك الـ ففهم وأعطاك الغبا
الآن تأتي هدى فكن فطنا حلمي وكن ثعلبا وكن حذرا
إن هدى ذئبة

حلمي:

عـلـيَّ أجـلُّ
ما ذاك أول نـصـبٍ سوف ترى ما أكون، سوف ترى
جربت فيه صبـيـك جربت فيه صبـيـك

عبد المنعم:

احفظ لسانك حلمي فمال زوجي مالي
حلمي صه ها هي ذي عائدة

حلمي:

من يفتح الحديث؟ أنت أم أنا؟

الفصل الثاني

عبد المنعم:

بل أنت ثم خلُّ لي تمامه

حلمي:

ولم لا نقتحم النار معًا

(تدخل هدى)

عبد المنعم:

هدى

الست هدى:

لقد كنت غليظًا جافيًا ولم تعظّم الأغا

عبد المنعم:

لقد كنت مشغولًا بلقمتي هدى

الست هدى:

تعاقرُ الخمر ضُحى!
ولو رآك لجرتُ فضيحة

عبد المنعم:

لكن مضى وما رأى

حلمي:

رأيت سيدي وكيف ساسه وكيف دارى وأتقي؟
لأجل عينيك رمى الزبيب من يديه

الست هدى:

الرجس رمى

عبد المنعم:

الآن أصغي يا هدى مسـ آلة أن بها أن يُعْتني

الست هدى:

وبم تريدُ أعتني؟

عبد المنعم:

بمكتبي،

الست هدى:

وما الذي له جرى؟

عبد المنعم:

يكادُ مكتبي يكون مقفلاً

الفصل الثاني

الست هدى:

ما ضرني أن يقفلا؟

حلمي:

سيدتي المكتب «أبعادية» هل تتركانه سُدى؟
غلته ألفتان كل سنة

الست هدى:

وكيف ذاك؟ ومتى؟

حلمي:

بل زاد عن ذلك يا سيدتي بالأمس، من عام مضى

الست هدى:

وما الذي تريدُ أن أصنعه؟

حلمي:

مدي لزوجك اليدَا

الست هدى:

وكيف يا حلمي؟

حلمي:

نَبِيحُ الطين أو نرهئه إلى مدى

الست هدى:

طيني أنا أبيعُه، أرهـ نه؟ ماذا تقول يا فتى؟

حلمي:

لقد عرضت صفقة رابحة إن أنقذ المكتب أنقذنا الغنى

الست هدى:

حلمي تعقل!

حلمي:

دعيـني «المتر»^١ أغرق دينا
كنا نقيمُ دعاوى صارت تقامُ علينا
في كل يوم يطلبون «المتر» بالمقدم
ويلي عليك سيدي ويلي على معلّمي
غداً ترين سيدي في قفص المتهم

الست هدى (لنفسها):

أتسمعين يا هدى؟ ابكي هدى، اندبى، الطمي!
غداً يقولون: هدى تزوجت بمجرم

^١ أي الأستاذ المحامي.

حلمي:

المحامي عليه للناس دينٌ تصلحُ الحالُ حين نخلص منه
دينُهُ أنتُ تقدرين عليه مائتا ليرة^٢ فأدّيه عنه!

الست هدى:

أؤدي الدين يا حلمي؟ ومن أين؟

حلمي:

من الطّين

الست هدى:

وماذا بعدُ يبقى لي إذا بعْتُ فداييني؟

(لنفسها)

لولا فداييني وغلّتها ما طاف إنسان على بابي
بها تزوجتُ وفي قطنها كَفَنْتُ أزواجِي وخطّابي

(لحلمي)

أنا أؤدي الدين عنه، أنا ما تستحي يا شابُّ ما تخجل؟

^٢ الليرة: الجنيه

حلمي:

ألسِتِ يا سيدتي زوجَه والزوجُ عن صاحبها تحمِل

الست هدى:

أحمل عن مُسْتَهْتِرٍ يومه وليله سكرانٌ لا يعقل؟

(تنادي)

رضوان!

(يدخل رضوان)

رضوان:

من؟ «ستي»؟

الست هدى (همساً):

رضوان!

رضوان:

مولاتي!

الست هدى:

اذهب على الفور ادع صديقاتي

(يخرج رضوان)

الفصل الثاني

(عبد المنعم يتمشى مغضباً)

عبد المنعم (لحلمي):

قد قلت يا حلمي الصوابَ اسمعي هذا هو الصدق هدى
مكتبي الثروة مكتب الـ غنى لا مكتب إلا أنا

الست هدى:

أنت؟ لأنت حانة تنقلتُ وأنت برميل مشى
وأنت شيء في الرجا ل ضائعُ وعالةٌ على النسا

لحلمي:

سيدتي لا تشتمي سيدتي لا تغضبي
طينك قد تُرجعه قضيةً في المكتب

عبد المنعم:

إني لم أخطبك يا هدى لفرط حسنك
ولا تزوجتك يا صغيرتي لسنك
ولا وقعتُ في البلا ء لسوادِ عينك

الست هدى:

إذن لطيني بي تزوجت؟

عبد المنعم:

أجلُ لطينك

الست هدى:

وأنا يامحامي الشوم ما اخترتُك للقبح والمحيا الديميم

عبد المنعم:

هذر بينُ وقولُ هراءٍ لم إن قبَلتني لك بعلا؟

الست هدى:

ذكر الخاطبون فضلك عندي فإذا أنت لست للفضل أهلا

عبد المنعم:

إذن دعي الزبرجدا لي ودعي الزمردا
وكل ما حلّيت من ه الكف والمقلدا

الست هدى:

ولم؟ قل لي: أمال أبيك هذا؟ أمك خلفت هذي الحليّا؟

عبد المنعم:

ألستُ الزوج؟

الست هدى:

لا ما أنت زوجٌ

الفصل الثاني

عبد المنعم:

فما أنا؟

الست هدى:

بل طُفَيْلِي عَلِيًّا

عبد المنعم:

ها تي مصوغك!

الست هدى:

لا

عبد المنعم:

لا بد لي من فلق الرأس

إذن

الست هدى:

تضربني؟ أهكذا يكون شكرُ الحسنّة؟

(وتتناول عصا)

تضربني أنا التي تأكل زادي من سنّه

عبد المنعم:

حلمي! تقدّم نحوها خذ العصا من كفها
حلمي! اختطف منها العصا

حلمي:

حلمي! تقدّم نحوها خذ العصا من كفها
ما حاجتي بخطفها
أما تراها كاللبّ اة في مثار عُنفها؟

عبد المنعم:

طرز يا جبان، وانتزع من الخبيثة العصا

حلمي:

بل الجبان من يُجرُّ دُ العصا على النُّسا
تريد أن تأخذ بالقوة منها مالها؟
فما لها لا تستميت في الدِّفاع، ما لها؟

الست هدى:

يا ويلتا وا خجلي وعاري
أضحوكة الجارة شغل الجار
ثيابه كُفوطه الخمار
لي رجل بأذني حمار
لم ير إلا طافحاً في الدار
تنضح بالليل وبالنهّار

عبد المنعم:

أسمع حلمي كلام العجوز؟ وما تقذف الرِّمة الباليه؟

الفصل الثاني

أَخَذْتُ عَصَاي لِتَأْدِيبِهَا فَجُرَّ عَصَاكَ وَقَفَّ نَاحِيه

حلمي:

رَأَيْت رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ تُضْرَبُ زَيْنَبُ

(تدخل زينب ثائرة وراها نساء من الحارة)

زينب:

مَنْ قَالَ تُضْرَبُ زَيْنَبُ؟ مَنْ قَالَهَا؟ أَنَا أُضْرَبُ؟
مَنْ قَالَ ذَلِكَ يَا هَدَى؟ لِأَرِيهِ كَيْفَ يُؤَدَّبُ؟

الست هدى:

مَا قَالَهَا كَاتِبُ الْمُحَامِي وَإِنَّمَا قَالَهَا الْمُحَامِي

زينب:

إِنَّهُ هُوَ السُّكَّيرُ يَا أُخْتُ

الست هدى:

أَجَلُ

زينب:

مَا تَسْتَحِي تَقُولُ ذَلِكَ يَا رَجُلُ؟
مَنْذَ مَتَى فَارَقَ وَجْهَكَ الْخَجْلُ؟

الست هدى:

دافعي زينب عني
منذ حين أوعد السك
إن أنا لم أعطه دُرَّ
شاركيني ما أقاسي
سيرُ أن يَفْلُق راسي
ي وَيَأْقُوتِي وَمَاسِي

زينب:

إذن دعيني هدى دعيني
أُنزِلُ على زوجك انتقامي

عبد المنعم:

حلمي تأمل هذه عصابة
قد نظرتُ في البيت حتى جمعت
زحافةً مكنسة مغرفة
من خدم البيت ومن بعض النساء
سلاحها من هاهنا وهاهنا
ونحن ما في يدنا غير العصا
حلمي تأهب استعد دافع

حلمي:

قف أنت، عن رأسك حام، رافع!
أسامعُ أنت أم غير سامعٍ؟
انظر إلى الزحافة
تدور في لطافة
كعنق الزرافة

عبد المنعم:

وتلك؟

حلمي:

تلك المِغْرَفَة كالعقرب المؤلِّفة

النساء (يضربن المحامي ويقلن):

أسامعُ أنت أم غير سامع؟
أضربنهُ حتى يقع أضربنهُ، خذ يا لكعُ
كيف ترى؟ أين الوجعُ؟

عبد المنعم:

أجزني حلمي تعال احمني

حلمي:

أنا؟ خلني، خلني أهرب
عليّ من اليوم لا تعتمد فإني استقلتُ من المكتبِ

عبد المنعم (لحلمي وهو منصرف):

قف يا جبانُ تعال، قلتُ

حلمي:

لا تنتظرني إنني استقلت
أنت تعرضت لذا ابق! خذ الزبرجدا
وأنت كنت المعتدي أقم، خذ الزمردا
إنني مستعفٍ

عبد المنعم:

والأجر؟ تنساه؟

حلمي:

الأجر قد ضاع يعوّض الله!

الست هدى:

زينب تلك صخرةً بغير حسّ فاضربي

(تضربه)

أسمًا خديجةً اضربا رضوانُ أدبٍ أدبِ
هذا هو الفول فكلُّ هذا الزبيب فاشربِ
خذ من يدي الزبرجدا خذْ من يدي الزُّمردًا
وخذ إن اسطعتَ اليدا

عبد المنعم:

حسبي هُدى، كفى كفاني ضربا قد كان هذا اليوم لي مُخبأ
سَلِّمْتِ رايتي فكُفِّي الحربا

الست هدى:

إن أنا أَخَصَّتْكَ ماذا تصنعُ؟

الفصل الثاني

عبد المنعم:

أذهب

الست هدى:

ثم؟

عبد المنعم:

أبدًا لا أرجع!

الست هدى:

اُخْرِجْ إِذْنٌ وَلِ الْقفا يا لُكُ

قف يا محامي لِيِ اسْتَمْعُ واسمعن يا مَنْ هَاهُنَا
النذلُ قد رَدَّ الطلاق لمشيئتي أَنَا

(تخرج عقد زواجها)

عصمتي منك في يدي شهدت لي الوثائقُ
امض يا نذلُ لا إنك اليوم طالقُ

الفصل الثالث

(بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة «الست هدى» «السيد العجيزي»
من أعيان الريف وزوج المرحومة «الست هدى»)

العجيزي (لنفسه):

المال صار يا عجوزٌ مالي وأصبح البيتُ وما حوى لي
من بُعدِ عشرةٍ من الرجال
نعم رجال كثيرٌ ماتوا بحسرةٍ مالك
كنتُ الموفقَ وحدي لما ظفرتُ بذلك
الطين في «بناها» كما قيل لي من أجود الأطيان في الناحية
وفي الضواحي يا عجيزي ابتهج ما قيمةُ الفدان في الضاحية؟
والبيتُ ملكٌ قيمٌ وإن مشى فيه القدم
مهندمٌ منورٌ من رأسه إلى القدم
بأيسر البياض والترم يم يحيًا من عدم
ما قيمة البيت يا عجيزي وما يساوي إن بيع يومًا؟
قد قيل لي هي ألفٌ وقيل ألفٌ ونصفُ
والفرشُ شيءٌ حسنٌ والفرشُ لا بأس به
لا بدَّ من تنجيده لا بدَّ لي من قلبه
الكنباتُ خشبٌ زانٌ وسنديانٌ

قيمةٌ يبدو على صانعها الإتقان
وهذه سَجادةٌ نادرةٌ ذاتُ ثمنٍ
وهذه أخرى عليها قد تقادمَ الزمنُ
وصيغَةُ العجوزِ والحليِّ أين تُرى موضعها الخفيُّ؟
أَسألُ «رضوانَ» فمالي غيرهُ من مُرشدِ

(ينادي)

رضوان

رضوان:

من ذاكَ ينا ديني؟ أأنتَ سيدي؟

العجيزي:

رضوان أنتَ صادقُ تعال «رضوان» اصعدِ؟

(يحضر)

رضوانُ قل يا وُلدي أين مكان الصِّيغَةِ؟
في أي موضع ترى جواهر الميِّتَةِ؟

رضوان:

«مصاغها» يا سيدي ليس هنا

العجيزي:

أَيْنَ إِذْنُ؟

رضوان:

في منزل الباشا «صَفْرُ»
قد ذهب الأغا به في عُلْبَة

العجيزي:

منذ متى؟

رضوان:

من نحو شهرٍ قد غِبْرُ

العجيزي:

في المرضِ الأخيرِ؟

رضوان:

في أوَّلِهِ

العجيزي:

وأين كنتُ؟

رضوان:

كنت في بعض السفر

العجيزي:

أمانة ثم تُردّ

رضوان:

سيدي أعلم مني بالدخائل الأخر

العجيزي:

وكنت أنت حاضراً؟

رضوان:

أجل حُضرتُ
يومَ ذاك، وخدمتُ من حَضرتُ

(صوت من الطبقة السفلى)

يا صاحبَ المنزلِ

العجيزي:

مَنْ؟

الصوت:

ثلاثاً
محمدٌ وعامرٌ وأحمدٌ
جئنا نراك ساعةً فقلُّ لنا
تنزلُ أم نحنُ إليك نصعدُ؟

العجيزي:

قد حللتهم بداركمُ
اصعدوا عِنْدِي اصعدُوا

(لرضوان)

رضوان أجلسهم هَنا
وحيُّهم حتى أجي
وجئهمُ بقهوةٍ
من عَزَبَانَ «القهوجي»

رضوان:

تفضلُوا يا سادتي
الآن يَأْتِي سيدي

(ويخرج)

محمد:

ثروة ضخمة

أحمد:

وَحَيْرٌ كَثِيرٌ

محمد:

كُلُّ هذا إلى العجيزيِّ آلا
أصبح الكلبُ بعد أن كانَ يمشي ينفض الجيبَ أكثرَ الناسِ مالا

أحمد:

«المصاغُ» «المصاغُ» بالروح أفد سديه فمأذاً من لؤلؤ وزبرجد؟

محمد:

وهل نسيتَ يا أخي خاتمها الزمرد؟
فهم يقولون يساوي مائةً وأزید!

أحمد:

قد ارتدى المغفلُ الحريراً

محمد:

واتخذ الشاهيِّ والكشميراً

أحمد:

إذا مشى حسبته أميرا
وحذاؤه، رأيته؟

محمد:

لا، كيف، كيف حذاؤه؟

أحمد:

تسبيك رقته وياً
والحزام الحزام، رقعة
وكم وكم من قيّم
ذاك الحمارُ تحتُ مثـ
خذ ناظريك بهاؤهُ!
كشمير تمنيت أن أُكفّنَ فيها
قد اقتنى بعد السَّعة
لَ الشمعة الملمَّعة

محمد:

لا يا أخي الحمار شـ
قد اشتريته له
إن زاد شيء فاللجا
سيءٌ من شهور أربعة
وكنْتُ في السوق معه
مُ أو يكون «البردعة»

أحمد:

الطين يا عمرُ الطين عجب!
الطين أبعادية من الذهب
والبيت يا سيدي محمدُ
البيت فخم البنا مشيدٌ

محمد:

كم يا تُرى الأرض والمباني؟

أحمد:

ألف ذراع وقيل أزيد!

محمد:

عامر لم سكتَ لمَ وما ابتلاك بالبكم؟

عامر:

صه في غدٍ أَسْتَأْجِرُ الطَّيْنَ

محمد:

وكيفَ وبِكم؟

عامر:

ذاك فَنِّي

أحمد:

مذ كان يُسْتَأْجِرُ الطَّيْنَ

عامر:

أجل تلك صنعتي يا عزيزي
في غد تكتب الشروط وأمضي نحو «بناها» أحتلُّ طينَ «العجيزي»

محمد:

ما كالعجيزي رجلٌ يَدْرِي اغْتِنَامَ الفْرِصِ
إن «هدى» دجاجةٌ باضت له في القفصِ

أحمد:

وقد رأيت كيف كان دفنُها قد دُفِنَتْ مثل فقيراتِ النَّسَا

عامر:

لا يا أخي ظلمته إن الذي
جاء من الباشا ومن زوجته
قام على المأتم والدفن الأعمأ
أخرجها «خرجة» عز وغنى

(يدخل العجيزي فيقول)

العجيزي:

يا مرحبًا بالأحباب
كذا أنسى، كذا أُجفَى
يا مرحبًا بالصَّحاب
كذا عنِّي لا يُسأل؟

محمد:

بنا شوق ولكنَّا
نرى المشغول لا يُشغَل

أحمد:

يا عجيزيُّ عزاءً
أنت قد أحسنت والـ
مَرَّةً أخرى عزاءً
لِّه وأظهرت الوفاء
مثل ما قد دُفِنْتَ
ما دَفَنَ القومُ النِّساءَ

أحمد:

ما الذي أنفقت؟

العجيزي:

خَمْن، قَلْ على التوهم؟

محمد:

أُمَّائَةً

العجيزي:

في الدفن ثم مثلها في المآتم
(زائر ينادي من تحت)

يا صاحب البيت!

العجيزي (لنفسه):

قد صار لي بيتُ

الزائر:

يبقى لنا الحيُّ ويرحمُ الميتُ

العجيزي (لنفسه):

يرحمك الله هدى خيرك هذا عمّني

الزائر:

تهانئي يا عجيزيُّ لقد ورثتُ جليلاً
تهانئي يا صديقي قد نلتُ خيراً جزيلاً

العجيزي:

مَنْ

الزائر:

«مصطفى النشأ شقي»

العجيزي:

أَجِئْتِي بَعْلَتِي؟

الزائر:

أجل

العجيزي:

تعال اصعدُ بِهَا اصعدُ، معي أحبتي

الزائر:

معي الفقيه الحلي

العجيزي:

يا مرحبًا به، اصعدًا

(للحاضرين)

ذاك فقيه من سبيد ل دينه على هدي

الست هدى

أتعرفون الشيخ؟

أحمد:

قل عامر

عامر:

سَل مُحمداً

محمد:

في «الزَيْنَبِيَّ» قد سمعناهُ يَرْجُحُ الْمَسْجِدَا
ذَاكَ الْفَقِيهُ لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ لَكِنَّهُ عِنْدِي مُزَوَّرُ الْبِلْدِ
كَمْ حَلْ بِالْفَتَوَى وَبِالْفَتَوَى عَقْدُ

أحمد:

يَا حَلْبِيَّ أَنْتَ حَبْلُ الْمِشْنَقَةِ كَمْ لَكَ فِي الْحَارَاتِ مِنْ مَعْلَقُهُ
لَمْ يَخُلْ بَيْتَ لَكَ مِنْ مَطْلَقُهُ

(يدخل النشاشقي والشيخ)

العجيزي:

هَذَا هُوَ الشَّيْخُ أَتَى يَا مَرْحَبًا يَا مَرْحَبًا
«لِلْحَاضِرِينَ» بَيْنَ يَدَيْهِ أَدْبَا
اسْتَقْبَلُوهُ وَقَفُوا

(لرضوان)

الفصل الثالث

البنُّ يا رضوانُ

الشيخ الحلبي:

لا شيئاً من الكراوية

العجيزي:

أذهبُ جيُّ الشيخِ بها عاطرةً وصافيه

النشاشقي (همساً في أذن العجيزي، ويناوله العلبة):

هذا النشوقُ من نشوقِ المفتي يليقُ للوارثِ زوجِ السُّتِّ

آخر (ينادي من تحت):

صاحبَ البيتِ

العجيزي:

سيدي

الزائر:

عمُ صَبَاحًا أنا عبدُ اللطيفِ شيخُ الحاره

العجيزي:

مرحباً مرحباً تعالَ تفضّلْ

(للحاضرين)

رجلٌ لا يرى ثيابَ الجارِهِ

الشيخ (عند وصوله):

ولكن أنا ما قَدري؟ وهذا مجلسُ عال

العجيزي (همساً):

تعال، ما يقولون؟

الشيخ:

صنوفَ القيلِ والقَالِ
يعزُّونكَ بالميتِ يهنُّونكَ بالمَالِ

(وهو ينظر إلى جوانب البيت)

تعالى الله ما أبهى!	تعالى الله ما أوسع!
مكان الأتس والبسطِ	وبيتُ النسوةِ الأربُعِ
يرحمُها الله لقد	كانت ملاكًا محسنًا
ولم تقابلُ رجلًا	في بيتها إلا أنا
فكَمْ طِعِمْتُ وشربت	وكُسيْتُ هاهنا
البيت لما اشترته	كان أبى شيخَ حاره
ولم تنزلُ كلَّ عام	تُجيل فيه العماره

العجيزي:

وأنت؟

الشيخ:

كنت ابن خميس فليست أذكر شيئاً
إلا ليالي عرس لعبت فيها صبياً
لم يدخل البيت زوج وفارق البيت حياً

العجيزي:

إذن فعمر البيت ستون سنه

الشيخ:

ومن يقول مائة ما غبنه
فهم يقولون «الفرنسي»^١ سكنه

العجيزي:

إذن فلقبوه بالعتيق

أحد الحاضرين:

والأرض والموقع يا صديقي؟

آخر:

البيت كله على الطريق

^١ المراد بالفرنسي نابليون.

الشيخ:

بل منزلٌ مباركٌ تسكنه في عافيه
يكفيه ما حلَّ عليه من جلالِ الناحيه
فأنت بين الحنفيِّ^٢ والبتولِ الزاكيه^٣
لا تنس مَنْ جارك إنك جارٌ (الحنفي)

الحاضرون:

وكلنا خادمه وكُلُّنا في الكنفِ

آخر (يزعق من السلم ويقول):

يا عجيزي يا صديقي

العجيزي (في اضطراب لنفسه):

ذاك داودُ المغنِّي
ربِّما خلطَ حتى أضحك المجلس مني

داود (من تحت):

أيها الوارث قل لي أأعزِّي أم أُهنِّي؟

^٢ السلطان الحنفي.

^٣ السيدة زينب رضي الله عنها.

العجيزي (للحاضرين):

ذاك داودُ المغنِّي وقد أتى يسألُ عنِّي

داود:

لقد أتيتُ ومعِي حميدُهُ لكي أريها دارَكَ الجديده

العجيزي (لنفسه):

الويلُ لي الويلُ لي حميدُهُ في منزلي
كيف أوري خجلي؟!

(للحاضرين)

أتسمعون؟ معه زوجته

أحد الحاضرين:

وما لداودٍ وللتفريج

آخر:

أصعده، دعه يا عجيزي يجي

العجيزي:

لا ومقام (الحنفي) لن يجي

آخر:

قابله لا تُضع عليه سعيه ليس على أمثاله من حرج

العجيزي:

لا، لن يطا لي عبته سوف أريه أدبه

(وينزل فيصرف «داود» ويعود)

زائر آخر (يصيح من تحت):

سيدي، سيدي، أنت هنا؟

العجيزي:

من

الزائر:

أنا سلمان يا عجيزي أأصعد؟

العجيزي (لنفسه):

ذاك سلمان جاء يطلب بالدين وقد جن أمس حتى تهدد

أحد الحاضرين:

سلمان من؟

مصطفى:

تجهلُه؟ ذاكُ مُرابي الناحية
استرجعَ الخمسينَ مني بعد شهرينَ مِنه

محمد:

مُسلمٌ؟

مصطفى:

وابنُ مسلمٍ وله جدُّ بقلب الصعيد شيخ وليُّ
لن يدعَ لليهودِ في «الخط» رزقًا ليس في «الخط» غيرهُ ربويُّ
يا يهودَ الأرضِ قد أصبحَ يشقى العالمون
من بني الإسلامِ سلمانُ ومنكم «سالمون»

محمد (همسًا):

وما له والعجيزي؟ وما الذي جاء يصنع؟

أحمد:

أليست الزوجُ ماتتُ فالوارث اليوم يدفع

العجيزي:

سلمانُ يا إخوانُ لمْ يأت لدين أو سندُ

عامر:

وما يضر الدينُ لم يخلُ من الدينِ أحدُ

العجيزي:

لا، بل علاقتي به
أباؤه كانوا وأبائي
علاقةٌ من البلدِ
شيوخًا وعمدًا

محمد:

نادِ إذنْ يصعدُ فلا بأسُ
في مجيئه

العجيزي:

سلمانُ سلمانُ
تعال سلمانُ فما هاهنا
إلا أحبَاءُ وإخوانُ

(يدخل سلمان ويقول للعجيزي)

سلمان:

قيل لي عنك مطلقُ البطنِ شاكٍ
كيف يا سيدي العجيزي حالك؟

العجيزي:

أحمدُ الله قد تعافيتُ فاجلس

(همسًا)

ولا تَخَفْ، في غدِ يوافيك مالكُ

سلمان:

أمامك شهران حتى تفيقَ وتهدأ فلمْ لا تمدُّ الأجلُ؟!
وتدفعُ خمسين فوقَ الحسابِ إذا الإرثُ من كل وجه كَمَلْ
دواتي عليَّ وفيها اليراعُ وأنت بخير وهذا السندُ
فخذ فضع اسمك

العجيزي:

سرُّ في الرواقِ لا يَطُعنَ علينا أحد

(ينصرفان)

محمد:

قد دخلا في الرواق سرًّا وفاز بالوارثِ المُرَابي
وبين هذا وذا حسابُ ويعلم الله بالحسابِ

(يعودان)

سلمان (همسًا لمصطفى):

يا مصطفى يا نشوقي

مصطفى:

لبيك سلمانُ أهلا

سلمان:

لي كلمة فادُّ مني لا تنسَ دِينُكَ حَلًّا

العجيزي:

ماذا يقول المرابي؟ وما أسرَّ إيكَا؟

مصطفى:

يريد مني نَشُوقًا مما رَأَى في يَدَيْكَ

الحلبي:

الحق أنه نَشُوقٌ طيِّبٌ

مصطفى:

وفيه يا فقيهُ عرقُ العنبرِ
الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والمفتي وشيخُ الأزهر
وسيدات «الخط» من حين إلى آخر يبعثن الأغا فيشتري

عامر (في سخريّة):

السيدات؟ أأنثى على النشوق تطوف؟

مصطفى:

أما لهنَّ أنوفُ؟
لا تنس يا عامر!

عامر:

ماذا مصطفى؟

مصطفى:

لا تنس يا أخي يا أعزَّ الناسِ
أمُّك كانت من عَرامها به تأخذهُ مِنِّي بالأكياسِ

عامر:

أمي أنا يا رجلاً لا يستحي
نشاشقي يذكر المخدرة

(يتناول كل من مصطفى وعامر عصاه)

مصطفى:

وأي عار بالنشوق إنما العارُ كل العار شغل السمسرة

شيخ الحارة:

خذوا العصا من «عامر» و«مصطفى»
إني أخافُ أن تكون «مَجْرَزَه»

عامر:

دعوه لي لا بد من تحطيمه

مصطفى:

خلّوه لي لا بد أن أكسره

العجيزي:

وحرمة الميِّتة تنسيانها وحق بيتي لا تراعيانهُ
غداً يقال عنكما قد سخرا من العجيزي ومن ضيقانهُ

مصطفى:

تلك العصا طرحتها يا سيدي حُبًّا بِگا

عامر:

وأنا أيضًا قد رميت ست بالعصا لأجلكا

(صوت من الخارج)

دستوركم يا أهلَ هذا المنزل

العجيزي:

مَن؟

الصوت:

الأغا

العجيزي:

أمازُ أغا؟ تفضِّلِ

الأغا (يدخل باكيًا مولولًا ويقول):

آه على صديقتي
قد خُرب البيتُ فليد
آين جَبِينُ كان
وآين «أهلاً» كلِّما
وآين ما قد كان لي
وآين صوتُ كان كالسح
آه عليكِ يا «هدى»
تَ لك عيْنًا فترى!
كالبدْر سناءً وسَنا
جئتُ وآين «مرحبًا»؟
عندك من طيب اللِّقا؟
رِ ينادي يا أغا!

العجيزي:

ماذا دهاك سيدي هون عليك يا أغا

الأغا (مستمرًا):

قد ذهب البيتُ
قد ذهب المال
لبيت الله وحده البَقا
فسبحانَ الذي له الغنى!

العجيزي:

أفق تجلِّدُ يا أخي ليس البكا من النُّقى

الأغا:

أبكيكِ يا هدى وإن لم يُرجع الميت البُكا

(ويقع مغمى عليه)

مصطفى (للأغا):

جَرَّبُ نَشَوقِي مرَّةً خذِ تجِدَ الحزنَ هَدَا

العجيزي:

رُشُوهُ بالماءِ يُفَقُّ

(لرضوان)

رُضْوَانُ هَاتِ كوزَ مَا

الأغا (يرفع رأسه قليلاً ويقول):

وَلِيكَ عَذْبًا بَارِدًا إِنِّي أَحْسُّ بِالظَّمَا
لِيَتَّكَ مَا مَت وَلِيَتَّ المِيَدُ سَتَ يَا هُدَى أَنَا!
هُدَى تَعَالَى انظِرِي البَيْتُ مِنْكَ قَدِ خَلَا

(للعجيزي)

سيدي أضغ لي:

هُدَى رَحْمَةَ اللّهِ عَلَى رُوحِهَا وَأَلْفُ سَلَامٍ
يَا أَسْفَا عَلَى هُدَى يَا أَسْفَا يَا أَسْفَا
مَا لِي يَخُونُنِي فَمِي؟ مَا لِي تَخُونُنِي القُوَى؟

(ويتمايل الأغا ثم يسقط)

محمد:

لقد رجَعْنَا فَوْقَ عَنَّا فِي الْبَلَاءِ وَالْعَنَاءِ

العجيزي (للأغا):

قَمِ يَا أُخِي أَنْهَضْ قَلْبِي تَكَلِّمْ هَاتِ بَيْنَ يَدَيَّ يَا أَغَا
مَا نَحْنُ فِي مَاتِمِهَا مَاتِمُهَا قَدْ انْقَضَى
وَكُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

الأغا:

تَرَكْتُ عِنْدَنَا وَصَاةً

العجيزي:

وماذا؟

الأغا:

كَتَبْتَهَا قَبْلَ الزَّوْجِ بَعَامٍ كَتَبْتُهَا وَأَشْهَدْتُ مُفْتِي الْقَدِ
طَرَّ عَلَيْهَا وَقَاضِيَ الْإِسْلَامِ قَدْ تَرَكْتُ يَرْحَمُهَا اللَّهُ
أَمْسَكُونِي لَا أَقْعُ

(ويتمایل كالنشوان)

العجيزي:

قَمِ خَلْفَهُ يَا مُصْطَفَى!

الست هدى

مصطفى:

دُعْهُ لِسَاعِدَيَّ دَعْ

الأغا:

قد تَرَكْتُ فِي عُلْبَةٍ «مَصَاغَهَا» عَشْرَ قَطْعٍ
مِنْ جَوْهَرٍ مُبْرَأٍ مِنْ الْخُدُوشِ وَالْبُقَعِ

العجيزي:

لمن؟

الأغا:

لعشرة من نساء الحاره من كل جارية و بنت جاره

العجيزي:

وعينتهن؟

الأغا:

أجل، وبيئت

العجيزي:

يا لي، يا للغبن والخسارة!
يا أسف الدهر على جواهري يا ندمًا

مصطفى:

ما لك يا أخي؟

العجيزي:

أحسُّ أن ظهري انقسما
عوقبت هدى ولا أخرجت من جهنما

(يغمى عليه)

محمد:

لا بأس لا بأس إنني أرى به إغماء

شيخ الحارة:

رضوان طرُجى بكَوزِ

الحلبي:

صُبُّوا عليه الماءَ

العجيزي (وهو يفيق):

والبيت يا أغا أجبُ البيت ما أصابه؟

الأغا:

وقفتَه لبنت أول زوجٍ إن هذا قضاءٌ حقٌّ قديم

العجيزي:

أترى البَغِيَّ والتعسُّفَ حقًّا يا كثير التحليل والتحريم
قلَّبْتُني هدى على النار حيًّا قلب الله جسمها في الجحيم

(للأغا)

وأثأثُ البيت هدا؟

الأغا:

جاء أيضًا في الوصيِّه
أصبح البيت وما في البيت ملكًا لبيِّه

العجيزي:

ارم يا دهرُ بالمصائب ارم ظلمتني هدى فما كان جُرمي؟

شيخ الحارة:

بقي الطين فانتظرُ رحمة الله ولا يدخلنك اليأسُ منه
إنها خلَّفَتْ ثلاثين فدانًا ببناها وأنت تعرف ببناها

الأغا:

لا، لا تصدق سيدي فما درى، ما عرفا

العجيزي:

ماذا جرى إذنُ أبْنُ

الأغا:

الطينُ أيضاً أوقفاً؟

العجيزي:

لمن؟

الأغا:

لبيت الله والسر وضة قبر المصطفى

العجيزي:

يا ربَّ بيتكُ عني وعن نصيبي غنئُ
وقل لقبرك يُرجعُ لي ثروتي يا نبيُّ
الطينُ أيضاً قد مضى وكل شيءٍ انقضى
يا لأعاجيب القضا

الحلبي:

اصبر أخي، تعزّ، ما هذا الجزعُ هب أن ذلك الزواج ما وقع
ليس الحياةُ غير ري وشبعُ

العجيزي (وهو يهجم عليه):

هب أن رأسك انفلقُ هب أن مخك اندلقُ
حتى جرى على الزلق

سلمان:

الطينُ أيضًا قد مضى يا ويح لي، وَيَح ليه!
ضاع عليَّ تعبي وضاعتِ الخُسميه!
هذا العجيزيُّ مزيج من غباءٍ ونكد
قد جاء مصر هاربًا من الديون في البلد
وما له من عمل فيها ولا له أحد
لكن عليه سند

النشاشقي:

اذهب، كُل، اشرب السندُ

الجميع:

اذهب، كُل، اشرب السندُ!